أرابيسك من الأناضول

"ثلج" رواية حداثوية من تركيا المعاصرة

جون أبدايك
ترجمة: نجام الجبيلي

رواية أورهان باموك الجديدة "ثلج" (التي ترجمتها من التركية مورين فريلي والصادرة عن دار نشر نوبف) تزخر بموروثات الرسام الحداثوي. ومثلها مثل رواية " تذكر أشياء ماضية" (البحث عن الزمن الضائع- م) فإنها تكشف تعشيقاتها الداخلية من الذاكرة المعاد تشكيلها وتنتهي بالوعد بتكوينها الخاص. يعرف بطلها بإسم "كا" وهو تلميح من الصعب إغفاله إلى "ك" بطل رواية "القصر" لكافكا. مكان الحدث هو مدينة ريفية مهجورة هي "قارص" – مع أن "قار" تعني "ثلج" إلا أن "قارص" هي مكان حقيقي في الزاوية الشمالية الغربية لتركيا بالقرب من "أرمينيا". وقد دمرها " تامرلان" في عام ١٣٨٦ واحتلها الروس بين فترة وأخرى في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين. وتوحي، في الأيام الأربعة المحمومة التي تكون فيها محاطة بالثلج- بالعالم المصغر الجبلي الميال للجدل للمصحة العقلية لرواية توماس مان "الجبل السحري" مع أثر ضئيل مهلك من " بلدتنا" غير المسماة في رواية دوستويفسكي "الشياطين".

أن الطيف الرقيق لما بعد الحداثة يطوف في ظلال السرد المعقد لرواية " باموك" وسلالمها اللولبية. وهو مثل "إيتالو كالفينو" مولع بصنع النموذج إذ يصور مدينة "قارص" بهوس كما فعل جويس بدبلن ويرتب القصائد التسع عشرة التي كتبها "كا" هناك على شكل ندفة الثلج الموزعة بشكل بلوري. وذلك لا يعني أن رواية " ثلج" لا تحفل بالتشويق في دوامة المواقف. إن باموك مثل " ريمون كوينو" (روائي سريالي فرنسي-م) موهوب مع لمسة خفيفة من اللامعقول، وهو ينسج تطورات حبكة هزلية إلى الدرجة التي يلمح فيها إلى أن أي حبكة في هذا الكون العادي المشوش هي هزلية. إنه مسحور بالواقع المزيف و الحقيقة الكاذبة للأداء المسرحي، وتتمحور رواية "ثلج" في أوجهها السياسية، حول أداء ليلتين في "مسرح قارص الوطني" الذي يختلط فيه الوهم مع الحقيقة على نحو يصعب التمييز بينهما.

إن كوميديا الأحداث العامة، حيث الاحتجاج والتصريح سرعان ما ينضجان ليتحولا إلى كليشة ميلودرامية تخفي حقائق تراجيدية معينة لتركيا المعاصرة: فرص العمل القليلة التي تؤدي بالرجال العاطلين إلى الجلوس بصورة دائمة في المقاهي لمشاهدة التلفزيون؛ التوتر بين العلمانية التي أسسها كمال أتاتورك في القرنين التاسع عشر والعشرين والنهضة الحالية للإسلام السياسي؛ القضية الحامية المتعلقة بحجاب النساء؛ الانقسام الحضاري بين النخبة المؤيدة للغرب والعامة المؤمنة. تمتد تركيا، في جغرافيتها، ما بين أوروبا وآسيا؛ ويتضمن تاريخها مشهد الانتصار الإمبراطوري للسلاطين العثمانيين وبعد تدهور طويل، الثورة العلمانية التحديثية بقيادة أتاتورك. ولا يرتدي التقليد هناك الطربوش والعمامة فحسب بل أيضاً زي المقاومة الإسلامية.

"كا" في الثانية والأربعين، من أهالي اسطنبول،غير متزوج عاش لمدة اثنتي عشرة سنة كمنفي سياسي في ألمانيا، يأتي إلى "قارص" التي زارها قبل عشرين سنة مضت، كي يكتب تحقيقاً لجريدة أحد أصدقائه، عن وباء محلي من الانتحار بين النساء الشابات، ولكي يرى زميلته في الجامعة " آيبك" الجميلة، التي عرف أنها انفصلت عن زوجها "مختار" وهو من المعارف القدماء، ويخوض معركة انتخابية للفوز بمنصب المحافظ؛ وهذه الانتخابات هي إحدى الخيوط التي دفنت تقريباً خلال الأيام المتتالية في العاصفة الحقيقية لتعقيدات وشخصيات أخرى.

إن مسرح الحدث الأناضولي ومعماره التالف الذي كان يعبق بصورة شعرية بالأرمن والروس الذين سكنوه قديماً، يقطنه الآن الأتراك الذين تبدو أسماؤهم للقارئ الأمريكي كحكاية جن غريبة: قديفة، زاهدة، صوناي ظائم، فوندا أسر، غونتر بنر، هاقان أوزغة، مسعود، فاضل، نجيب، تسليمة، عبد الرحمن أوز، عثمان نوري تشولاق، طارقوت أولتشون، والاسم الكامل لـ "كا" الذي يبقيه طي الكتمان وهو (كريم ألاقوش أوغلو).

وفي دوره المؤقت كصحفي، يسمح لـ "كا" بالوصول إلى سلسلة من وجهات النظر المحلية،، تتراوح من وكيل نائب الحاكم (الذي يقول له:"لو كان البؤس هو السبب الحقيقي للانتحار لقتلت نصف النساء في تركيا أنفسهن".) والمعلم الديني اللطيف الشيخ سعد الدين أفندي" إلى "قديفة " الإرهابية الخارجة عن القانون وأخت "آيبك" والتي ترتدي الحجاب وتقترح في النهاية بأن النساء ينتحرن ليعبرن عن كرامتهن:"إن لحظة الانتحار هي الوقت الذي خلاله تفهم النساء جيداً كم هو موحش أن تكون أمرأة وماذا يعني وجودك كامرأة". وفي زيارتها الأولى لـ"كا" تلخص "آيبك" الموقف بصورة محكمة: "الرجال يكرسون أنفسهم للدين والنساء يقتلن أنفسهن". وحين يسألها عن السبب ترد " بنظرة أخبرته بأنه لن يتوصل إلى أي شيء حين يضغط عليها كي تجيب سريعاً". لكن السؤال، وعلى مدى أكثر من أربعمائة صفحة، يبهت إلى جانب القضايا الحيوية والفعالة : قدرة "كا" المستعادة على كتابة القصائد، حملته المعذبة لإقناع "آيبك" على الزواج منه والذهاب معه إلى الوجود الهامشي لشاعر تركي منفي في فرانكفورت؛ جداله مع العديد من الطلاب الشباب (نجيب، فاضل) في مدرسة "قارص" الدينية إن كان هو وبقية الأتراك المحبين لأوربا مؤمنين حتماً ؟ وفي انعطافة تراجيكوميدية للحبكة يحدث انقلاب من قبل أتباع الأتاتوركية مؤيد للعلمانية ضد الإسلام السياسي في دائرة البلدية المحاطة بالثلج خطط له من المسرح الممثل الجوال المتمرس صوناي ظائم. يشهد " كا" في أول يوم له في "قارص" اغتيال مدير معهد المعلمين كان قد منع الحجاب، ويصبح "كا" متورطاً بشكل متزايد في مكائد ذات جوانب متعددة ويتحرك جيئة وذهاباً مثل بطل فيلم مثير لكنه غير قادر على الاعتقاد،بسبب هوسه، بتلك الإذن الصاغية للقصائد التي أملتها عليه سلطة عليا والاهتمام المطرد بشكوكه. هل مؤمن بالله أم لا ؟ هل تستحق السعادة ذلك؟ ويقرر، بعد فاصل من النشوة مع "آيبك" بأن "السعادة القصوى في الحياة هي احتضان فتاة جميلة وإمكانية كتابة قصيدة في زاوية ما" لكن حتى هذا الاستنتاج غير الاستثنائي يذوب بسبب الشكوك : فهو يتوقع أن " ألماً ساحقاً مدمراً للروح سوف يهرس سعادتهما". وتؤكد له "قديفة" الوسيمة التي يبدو نشاطها الإرهابي مغرياً للنساء :" إن الناس الذين يبحثون عن السعادة فقط لن يجدوها أبداً".

إن "كا" المضطرب المولع بالتأمل والمجسد للتناقض في الشخصية التركية هو، كما نعلم، من مواليد برج الجوزاء. وهو يكتسب توأماً (هذا المؤلف أورهان ضعيف تجاه الرجال الذين يتداخلون بعضهم مع البعض، مثل العبد الايطالي من القرن السابع عشر وسيده المسلم في رواية " القلعة البيضاء" أو "نجيب" و "فاضل" في هذه الرواية) حين يتبنى "أورهان الروائي" صوتاً ووجوداً بصيغة المتكلم (أنا) المهذار أكثر فأكثر.

ويثبت في النهاية أن أورهان رحل إلى قارص ليتحرى مغامرات صديقه "كا" بعد سنوات من حدوثها. وتبرز دلالة السرد الخفية كونها الغموض العصي للكاتب المحنك والمعتبر –عقبته – بوجه تخلف أمته وخرافاتها وتعاساتها. ما علاقة حالات "كا" الداخلية –سعادة الطموح المتقطع، الأحلام الرومانسية في الإخضاع الإيروتيكي، نوستالجيته الشديدة نحو طفولته المخبأة، حسه المتضائل بصحة الإسلام ووجود الله وبالحقائق السياسية والاقتصادية للعالم؟ إن إلهه هو الطبقة الاجتماعية التي تركت الإسلام إلى الخدم ورحبت بالانقلابات العسكرية، بحظر التجوال الحذر وموسيقى المارش في الإذاعة. وحين تضرب الشرطة "مختاراً" صديق "كا" ومنافسه تصور بأن مختاراً قد وجد الخلاص في هذا الضرب؛ وقد يكون قد حرره من الذنب والكرب الروحي الذي شعر به بسبب بؤس بلده وغبائه". والأبيات الوحيدة المقتبسة من قصائد "كا" التسع عشرة المفاجئة والملهمة تجري على النسق التالي:

(حتى لو نزلت أمك من السماء لتحتضنك
حتى لو سمح لها أبوك الشرير أن تذهب دون ضربها ليلة واحدة فقط
فستظل بلا ذكر ويبقى برازك جامداً، وستذبل روحك، ليس ثمة أمل!
فإن كنت محظوظاً بما يكفي للعيش في "قارص"
يتعين عليك أن تغسل في الحمام.)

غير أن سيئي الحظ سيحتجون، ففي أثناء اجتماع سياسي يكافح بصورة محزنة وهزلية ومحببة لصياغة بيان لجريدة "فرانكفورتر روندشاو" يصيح شاب كردي غاضب:" إننا لسنا حمقى. نحن مجرد مساكين!" ويضيف:" حين يصادف غربي شخصاً من قومية فقيرة يشعر غريزياً باستهانة لذلك الشخص ويعتقد فوراً أنه فقير إلى هذا الحد لأنه ينتمي إلى قومية غبية. وهنالك احتمال كبير بأن الغربي يعتقد أن رأس هذا الشخص مليء بالخزعبلات والغباء الذي جعل قوميته كلها فقيرة بائسة". ويتساءل المؤلف نفسه الذي يصل إلى ما يصطلح عليه "ربما.. مركز قصتنا":

"ما مدى أملنا في فهم أولئك الذين كابدوا بشدة من الكرب والحرمان الأكبر وخيبات الأمل الساحقة أكثر مما عرفناها نحن؟ حتى لو وضع أغنياء العالم مكان الآخرين فما مدى فهمهم للملايين من البائسين من الذين يعاونون من حولهم؟ وهكذا الأمر حين يمعن أورهان الروائي النظر في الزوايا المظلمة في حياة صديقه الشاعر الصعبة والمؤلمة، فكم يمكن أن يكون فاهماً حقاً ؟

هكذا تنعطف العواطف الجمالية الخاصة والحاسمة لـ "كا" بطريقة ما تجاه السياسة. إن التقمص العاطفي يربط المجتمع سوية إضافة إلى تمكينه لأعمال الخيال. لكن هل يغير الأغنياء والأقوياء الذين تصوروا مرة طريقهم في مكان الذين هم أقل حظاً، المسار ويتبرأوا مما لديهم كما نصح بذلك كل من بوذا والمسيح ؟ وهل سينفع جداً أن فعلوا ذلك؟ أليس هو نزاعاً بين الطبقات والأمم، وغالباً بين الجماعات التي تفهم أحداها الأخرى جيداً؟ إنهم يتنافسون على الجائزة نفسها، الأرض نفسها، والسيطرة على الموارد نفسها. إن رواية "باموك" المصاغة بحذر ويستبد بها الضمير، المتوترة في هدفها وصراحتها وسخريتها، لا تحرضنا، حتى خيالاتنا كي نتغلب على الظروف الحالية في تركيا. حين يحدث انقلاب في "قارص" فإن الحماس بين الشباب العاطل يؤدي إلى أن يعلق المؤلف عليه بجفاف:" بدوا إنهم يفكرون في أن أحداث الليلة الماضية دلت على بداية عهد جديد لم يعد يسمح فيه للفساد والبطالة وكأنهم فكروا في أن الجيش قد تدخل بسرعة ليجد لهم وظائف".

هذه الجبرية الواقعية وواجب الشاعر "للإصغاء إلى الموسيقى الخفية التي هي أصل الفن كله" والإيمان بأن" الحياة لها شكل سري" تجفف المنافسات الدموية الأيديولوجية في رواية "ثلج. إن لـ "كا" حضوراً شبحياً جارفاً إذ يصبح متورطاً في دور الرجل المفاوض والمخطط للحدث. ليس من الواضح، في الأقل بالنسبة لهذا القارئ، ماذا كان حدثه الفاصل الذي يعاني منه في النهاية. ولا حبه لآيبك الجميلة والحكيمة كما ينبغي أن تكون، كان مؤثراً جداً.

إن مقايضات العشاق لها صراحة ملغزة تقتفي أثر همنغواي:"عرفت كل شيء علمونا عن الإسلام لكني نسيته فيما بعد وكأن كل شيء أعرفه عن الإسلام جاء من فيلم " الرسالة"

–كما تعرف. ذلك الفيلم مثله " أنتوني كوين". ابتسم "كا" . لقد عرض قبل مدة في القناة التركية في ألمانيا –لكن لسبب ما غريب، في ألمانيا. أنت هنا هذا المساء. أليس كذلك؟"

"نعم"

" لأني أريدك أن تقرئي قصيدتي مرة أخرى" قال كا ووضع دفتر ملاحظاته داخل جيبه:" هل تظنين أنها جميلة؟".

"نعم حقاً إنها جميلة"

" ما الجميل فيها؟"

" لا أعرف إنها جميلة فقط" قالت آيبك. فتحت الباب لتغادر. ورمى "كا" بذراعيه حولها. وقبلها على فمها.

قد تقرأ الرواية بصورة أفضل باللغة التركية على الرغم من أن ترجمة مورين فريلي كانت سلسة ورائقة. إذا بدت رواية "ثلج" في بعض الأحيان باهتة وغير شفافة، فيجب أن لا ننسى أن الكتابة بنزاهة عن مثل هذه المواضيع المعقدة مثل الحجاب والمعتقد الديني يتطلب الشجاعة في تركيا التي تشارك في الحرب العسيرة الحالية للعالم الإسلامي ضد التعصب مقابل الكلام الحر والبحث عن الحقيقة. إن باموك الشاب نسبياً وعمره ٥٢ عاماً مؤهل لنيل جائزة نوبل عن ذلك البلد (كتبت المقالة قبل فوز باموك بالجائزة –م)، ولابد من أن محاولة اغتيال آخر مسلم فائز بالجائزة (نجيب محفوظ- م) قد مرت في ذهنه. إن تقديم عمل رئيس مثير صريح ومربك مستفز، نقيض النزعة الأثرية المألوفة للمؤلف، معاصر تماماً في إطاره وموضوعاته، يتطلب الشجاعة إذ أن الفن أحياناً يزور حتى أشد ممارسيه انفصالاً.

❖❖❖

عن مجلة " ذه نيويوركر"

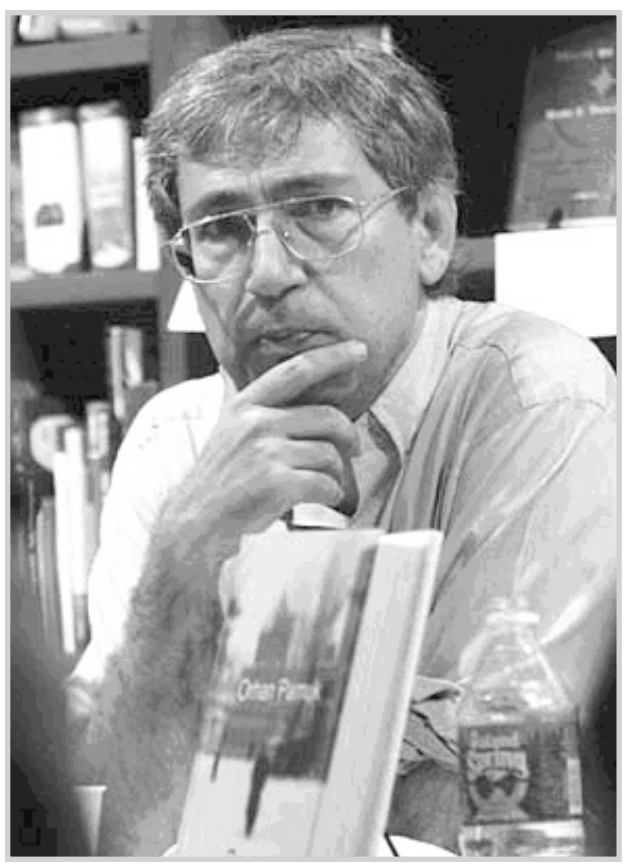
أورهان باموك

بمناسبة نشر كتابها "ارض النسيان" بالفرنسية

ديونغ تو هيونغ الروائية الفيتنامية العنيدة

رافاييل ريرول
ترجمة د.سندس فوزي فرمان

أوشكت ديونغ تو هيونغ على أن لا تستطيع المجيء إلى باريس حتى اللحظة الأخيرة بالرغم من إن كل شيء كان يبدو قانونيا فأوراقها وتأشيرة الدخول وموافقة الخروج كلها تؤشر على استطاعتها الإقامة في فرنسا بدعوة من ناشرها وإذا بالأمر يتغير فجأة. ففي يوم سفرها من هانوي حاول البوليس توقيف هذه الروائية ذات التسعة وخمسين عاما في ممرات المطار متهما إياها باستخدام جواز سفر مسروق بالرغم من إنها كانت قد استعادت للتو هذه الوثيقة بعد أن تمت مصادرتها لستة أعوام بتهمة انتمائها للمعارضة. وتم تجاوز هذا الخطر بفضل تصميمها وبفضل مساندة السفارة الفرنسية لها إلا إن القضية توضح إلى أي مدى يرى نظام هانوي خطورة ديونغ تو هيونغ التي يعتبرها كالقنبلة الموقوتة.

ما جريمة هذه السيدة الصغيرة والرشيقة والمتغنجة التي تعيش تحت الإقامة الجبرية في العاصمة الفيتنامية منذ عشر سنوات؟ جريمتها هي رفضها الانحناء أمام القوة وعدم رغبتها في أن تحفظ لسانها في فمها أو أن تضع قلمها جانبا. ديونغ تو هيونغ روائية وكاتبة قصة قصيرة وكاتبة للعديد من المقالات السياسية وتتمتع بشهرة كبيرة في بلدها وهي لذلك أصبحت هاجسا لكل الحكومات المتعاقبة في فيتنام منذ سنوات السبعينيات.

حاولت جميع الأنظمة أن تسكتها بشكل أو بآخر لكن دون أن تنجح مساعيها تلك فدونغ تو هيونغ شبيهة بتلك السوائل الخاصة والشديدة الأكسدة والتي لا يمكن وضعها في أي قنينة؛ مهما كانت هذه القنينة كبيرة أو مغرية (حاول البعض أن يقدم لها الكثير من العروض المغرية والوظائف الوزارية). ما يطلق عليه الآخرون اسم "القدر" تسميه ديونغ محنة أو مجرد أمر واقع ولا تعتبره قوة حتمية ثابتة لا يمكن تغيرها للأبد بل هو شيء يشبه تياراً أكثر مطاوعة وأكثر لينا لكن أحيانا يتعذر قلبه وتغيره. ولدت ديونغ في شمال فيتنام وواجهت جنون الحرب ومن بعدها واجهت الديكتاتورية ولم تدع مطلقا فرصة لكلمة "القدر الحتمي" أن تجد لها مكانا في حياتها فهي كانت دائماً مستعدة للكلام من أجل قول "الحقيقة" كما إنها خلقت شخصيات على المسرح لتحارب القدر. خلف نظراتها الحالمة والقاسية تتحرك الشخوص وتصارع القدر.

الصمود

وحتى عندما يبدو القدر قد استحكم على هؤلاء الشخوص فإن البعض منهم ينجح في الصمود. وهذا ما يحصل بالنسبة لشخوص رواياتها "أرض النسيان" الذين يرون حياتهم تنكفئ في ما يشبه الجحيم النفسي وذلك في أحد أيام حزيران الجميلة. حلت الكارثة مع مجيء "بون" وهو محارب قديم صرعته "الملاريا المزمنة" وآثار العامل البرتقالي الذي استخدمه الجيش الأمريكي إلا إن أكثر ما أنهكه ذكريات الحرب. عند عودته إلى قريته بعد عدة أعوام من الإعلان عن موته وجد بون زوجته "ميان" وقد تزوجت من رجل ميسور وتحبه بشغف. من خلال هذه الحبكة المأخوذة عن قصة حقيقية وككل البنى التي شكلت منها هياكل رواياتها الست السابقة نجد إن ديونغ تو هيونغ تخط مأساة طويلة تحكمها معاناة أو معضلة معنوية.

وخلافا للمأساة الكلاسيكية القديمة التي نجد ظلالها هنا وهناك إلا إن أعمال ديونغ لا تتعلق كلها بالحتمية والقدر حيث تبين لنا المؤلفة بأن القدر ليس دائماً قوة قادمة من السماء فالقدر ينتج أحيانا من الآراء المسبقة والأوهام ومن اللجامات التي اخترعها البشر كي يحجموا من اندفاعهم وغرائزهم. الرواية نفسها وصفية جدا دون أن تكون مملة وهي تقدم لنا لمحة آسرة عن التقاليد التي تتجسد وتمثل هذه "الآراء المسبقة" وذلك خصوصا عبر مجموعة من التفاصيل والشخوص الثانويين الذين لهم طعم خاص جدا. وعلى العكس من ذلك فإن الرواية تترك مكانا خاصا للأحلام والرغبات واستذكار الطبيعة التي تتجاوب بضخامتها وغناها وأحيانا بقسوتها مع الحالات النفسية للشخوص وتعكس جانبا من حريتهم. ما الذي يستطيع القدر فعله؟ الكثير فقد استطاع أن يسحق بون –الحرب هنا استخدمت كموضوع عابر رائع- لكن بالطبع فإن القدر لا يستطيع تحديد كل شيء حيث سنرى إن ميان وزوجها الثاني سيستطيعان إيجاد مخرجا لحبهما وأثبتا بذلك إن الإنسان قادر على نيل وإثبات حقوقه الفردية أمام أحكام المجموعة وسلطتها. للحصول على هذه الاستقلالية عليك دفع الثمن غاليا وديونغ تو هيونغ تعرف الكثير بهذا الخصوص.

"الألم يدفعني للكتابة"

يجب أن ترى إشراقة الفرح في عينيها حين تحدثك عن لعبة العوارض المتوازية أو جواد القفز أو عن الساعات التي كانت تقضيها في لعب كرة لمنضدة في شبابها. ليس لبريق الفرح هذا علاقة بالبريق الجاد الذي يظهر في نظراتها وهي تتكلم عن كتبها والسبب في ذلك هو إن ديونغ تو هيونغ، تلك الشابة المتحدرة من "عائلة ثورية راقية" تقطن منطقة دلتا النهر الأحمر في إقليم تي بنه لم يكن يتبادر الى ذهنها أن تصبح كاتبة إنما بطلة جمناستك. إلا إن أحلام الطفولة ذهبت أدراج الرياح فقد سحقها تعاقب الديكتاتوريات والحرب وتشرح لنا قائلة : " الألم دفعني للكتابة فلا يمكن فصل أعمالي عن المجتمع الذي عشت فيه". وهناك حادثان يمثلان بشكل خاص "تحولا" في حياة هذه الكاتبة المعروفة بإسلوبها الواضح. حصل الحادث الأول خلال الحرب ففي ذلك الوقت كانت الشابة ديونغ تو هيونغ مكلفة بإدارة فرقة مسرح جوال متنقلة على طول الجبهة وذلك على الخط السابع عشر المتوازي (وهي المنطقة الأكثر تعرضا للقصف في فيتنام). كان شعار الفرقة : "يعلو الغناء على صوت القنابل" وذلك لتسلية الجنود والجرحى. وفي الوقت الذي استأثرت عليها "ضرورة العمل من أجل العيش ؛ تلك الضرورة التي لا تترك لنا الوقت للاهتمام بالشعر أو بالسياسة" صادفت في أحد الأيام رتلا من الأسرى من جنود فيتنام الجنوبية "كانوا صغار الحجم وفيتناميين تماما هم أيضا". كان هذا المنظر بمثابة صدمة عنيفة للشابة الوطنية التي كانت تعتقد إنها تقاتل العدو الأمريكي. وتستمر قائلة : "فكرت إننا جميعا أسرى في نفق

مظلم وكل ما يقال لنا ليس سوى أكاذيب".

أما التغيير الكبير الثاني فقد حصل أثناء مؤتمر للكتاب عام ١٩٨٥ كانت ديونغ تو هيونغ معروفة وقتها من خلال قصصها القصيرة ومن خلال رواياتها "ما بعد الوهم" وكانت مدعوة للتحدث للجمهور في ذلك المؤتمر. وبالطبع فقد كان متوقعا منها أن تكيل المديح والتمجيد بالحزب فالكتاب الفيتناميون ليسوا إلا موظفين مقنعين بصورة كتاب بل وتؤكد قائلة بأنهم أناس يقبضون رواتبهم من النظام ويروجون الدعاية لصالحه وخاضعون تماما للحزب. ألقت كلمتها ولحق ذلك صمت جليدي لم يقطعه سوى صعود أحد الوزراء إلى المنصة متهما إياها بالخيانة وناصحا الآخرين بإهمالها.

أما ما أسرعوا بفعله فهو "أني وجدت نفسي أجلس وحيدة ساعة الغداء في مطعم الدولة. جلست على مائدة مجهزة لستة أشخاص مع خمسة صحون حساء ساخنة وخمسة صحون كيك وخمسة فناجين قهوة بالإضافة لي. كان النوادل ينظرون لي وكأنني مسخ. وبالرغم من إن كمية الطعام كانت كبيرة بالنسبة لي إلا إنني أجبرت نفسي على إنهائها وذلك لأبين لهم جميعا كم احتقرهم وبأنهم لا يخيفونني. في ذلك اليوم اكتشفت معنى الجبن".

منذ ذلك الحين لم تتوقف ديونغ تو هيونغ عن الكتابة وعن قول ما يجب قوله حتى وصل الأمر إلى دخولها السجن وكان ذلك في ١٩٩١ (تعلمت الفرنسية هناك). وبأي حال من الأحوال فإن كتبها الممنوعة في فيتنام مازالت تدور من يد إلى أخرى في الخفاء أما في فرنسا فقد نشرت لها دار النشر "أوب" لأول مرة رواياتها "قصص حب قبل الفجر" عام ١٩٩١ وتعاقبت بعدها دور النشر الأخرى في نشر كتبها.

عن الملحق الأدبي لجريدة اللوموند

كتاب منعوا نشره

اميرة عرش الاقحوان للاميرة ماساكو

الوكالات / المدى

حمل الجدل المحتدم حول كتاب عن السيرة الذاتية للاميرة ماساكو زوجة ولي العهد الياباني ناروهيتو التي تعاني من الاكتئاب، اكبر دار نشر في اليابان على التخلي عن مشروع نشر الكتاب اثر احتجاجات من قبل الحكومة والقصر الامبراطوري. ويحاول كتاب "الاميرة ماساكو، اسيرة عرش الاقحوان" الذي وضعه الصحافي الاسترالي بن هيلز بعد تحقيقات استمرت لاشهر، القاء الضوء على اسباب الاكتئاب الذي تعاني منه ماساكو وارغمها على التخلي عن واجباتها الرسمية لمدة ثلاث سنوات.

ونشر الكتاب في استراليا في تشرين الثاني/نوفمبر ثم في الولايات المتحدة على ان تصدر النسخة اليابانية منه في اذار/مارس.

لكن "كودانشا" للنشر اكبر دور النشر في اليابان اعلنت الجمعة في بيان انه "ليس لديه اي خيار اخر سوى الغاء مشروع نشر هذا الكتاب".

واتخذ هذا القرار اثر احتجاجات شديدة من السلطات اليابانية على نشره.

وكانت وزارة الخارجية قدمت احتجاجا رسميا على نشر الكتاب لانه يتضمن "تفاصيل مهينة عن العائلة الامبراطورية والشعب اليابانيين".

وفي وقت سابق نقل السفير الياباني في استراليا هيديكي اويدا رسالة احتجاج الى الصحافي ودار نشر "راندوم هاوس" مطالبا ب"اعتذارات وتعديلات" على مضمون الكتاب.

وفي موازاة ذلك وجه ماكوتو واتانابي كبار مستشاري القصر الامبراطوري رسالة الى هيلز نشر مضمونها، هب فيها الى نجدة العائلة الامبراطورية، في خطوة غير مسبوقة.

وقال واتانابي في الرسالة ان الكتاب يتضمن "اخطاء" و"يهين" الامبراطور وزوجته اللذين يحظيان باحترام كبير "لدى اكثر من ٥٧٪ من اليابانيين".

ومن سيدني حيث يقيم، رفض هيلز الصحافي المشهور في بلاده الخضوع لضغوط طوكيو.

وقال هيلز في تصريح لوكالة فرانس برس "ارفض جملة وتفصيلا محاولات الترهيب (من قبل الحكومة اليابانية) وارفض الاتهامات التي تحدثت عن عدم دقة المعلومات التي نشرت في الكتاب. انه امر غير مقبول اطلاقا".

واضاف "لست مرغما على تقديم اعتذارات ولن اقدم اعتذارا".

وتابع ان "الشخص الوحيد الذي يستحق الحصول على اعتذار هو الاميرة ماساكو". ويحمل هيلز القصر الامبراطوري "مسؤولية" الحالة الصحية للاميرة ماساكو.

وعزت دار كودانشا قرارها عدم نشر الكتاب "لموقف المؤلف" الرافض لتقديم اعتذارات.

وقال هيلز ان "دار كودانشا رضخت للاسف لضغوط الحكومة" اليابانية.

الا ان هيلز استفاد من هذا الجدل وبات كتابه في المرتبة الثانية من حيث المبيعات بعد كتاب هاري بوتر.

كما اثار نقاشات على الانترنت اذ دافع غالبية رواد الشبكة الالكترونية عن مبدأ "حرية التعبير" في نشر الكتاب.

واكد هيلز ان ثلاث دور نشر يابانية اقترحت عليه نشر الكتاب "لانه من حق اليابانيين ان يعرفوا ما حل بالاميرة ماساكو".

وماساكو اوادا كانت دبلوماسية لامعة تتكلم عدة لغات من الانكليزية والفرنسية والالمانية والروسية والاسبانية، ومسيرتها المهنية تشهد صعودا لافتا حين قررت وبعد تردد قبول الزواج من ولي العهد الياباني ناروهيتو عام ١٩٩٣ .

وبين ليلة وضحاها اضطرت للتخلي بموجب التقليد عن اسم عائلتها وحقها في التصويت للامتثال للبروتوكول الصارم المعتمد في القصر الامبراطوري تحت اشراف الوكالة الامبراطورية التي تضم اكثر من الف موظف رسمي مكلف السهر على افراد العائلة الامبراطورية البالغ عددهم ٢٣ شخصا.

ولاحق هيلز في كتابه اخبار طفولتها بين اليابان وروسيا والولايات المتحدة حيث اوفد والدها هيساهي اوادا الذي وصف بانه "دبلوماسي طموح وصارم"، وصولا الى دراساتها اللامعة وزواجها من الامير ناروهيتو والضغوط التي تعرضت لها لتنجب وريثا ذكرا للعرش وفي نهاية المطاف الانهيار العصبي الذي اصيبت به.

ويكشف الصحافي خصوصا ان ماساكو اضطرت للخضوع لعلاج بالهرمونات لتنجب ابنتها ايكو عبر تلقيح اصطناعي بعد تسع سنوات من الزواج في ٢٠٠١ .

وليدعم اقواله غير المؤكدة، يشير الى تعيين اخصائي كبير في مجال التلقيح الاصطناعي الدكتور اوسامو تسوتسومي على رأس الفريق الطبي المعتمد للقصر الامبراطوري.

ومنذ ولادة وريث ذكر للعرش هو الامير هيساهيتو، نجل اكيشينو الابن الاصغر للامبراطور والاميرة كيكو، خفت الضغوط عن كاهل الاميرة ماساكو بعض الشيء.

وماساكو التي احتفلت منذ فترة قصيرة بعيد ميلادها الثالث والاربعين لم تعاود بعد بشكل طبيعي واجباتها الرسمية ولا تزال تخضع لعلاج طبي.